9

بيت عبد الناصر

في بيت عبد الناصر .. قبل أن يتحول إلى متحف:

❖ كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، يقضي بين خمس وسبع ساعات من كل ٢٤ في القراءة .

❖ عاش الزعيم الراحل حياة الزهد الحقيقية ، ومات وهو لا يمتلك البيت الذي كان يعيش فيه.

❖ لم يكن يفصل سوى بدلة واحدة في السنة.

❖ ظل يستخدم ساعة يد واحدة طوال حياته .

obeikan.com

obeikan.com

حينما كان يموت أحد ملوك الفراعنة كان الناس يدفنون معه كل مقتنيات قصره والأشياء التي اعتاد استعمالها في حياته حتى إذا بعث أمكنه مواصلة الحياة من جديد .

ولكن بعد وفاة عبد الناصر فإن المسألة تبدو ولا شك مختلفة ، فهو لم يكن فرعونا ولذلك فقد بقى كل شيء في مكانه من البيت الذي عاشت فيه أرملته حتى وافتها المنية هي الأخرى فجاء السؤال : ما هو مصير البيت بعد رحيل أرملة الزعيم الراحل؟

هذا هو السؤال الذي طرحه الكثيرون من المهتمين بالأمر وقد أجاب البعض على ذلك بطلب تحويل البيت إلى متحف يضم كل متعلقات الزعيم الخالد فلا تضيع أو تندثر معالم مكان شهد أروع فترات التاريخ المصري المعاصر.

وقد عاش الزعيم الراحل عبد الناصر وأسرته في البيت نفسه الذي كان يقيم فيه ناظر المدرسة الثانوية العسكرية قبل الثورة ، وهي في منشية البكري في منطقة ثكنات الجيش وثكنات الحرس الجمهوري وفي هذا البيت عاش الزعيم عيشة أية أسرة مكونة من سبعة أفراد، ثلاثة أبناء ، خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم، وابنتان : هدى ومنى .. بدون أي مظهر من مظاهر البذخ والترف.

ولقد كان من حق عبد الناصر باعتباره رئيساً للدولة أن يقيم في أحد القصور التي تملكها الحكومة المصرية .. وهي كثيرة وأن يؤثث بيته بأي أثاث فاخر يطلبه من الأثاث الذي تمتلكه الحكومة في تلك القصور لكنه رفض هذا الحق واشترى من مرتبه بعض أثاث بيته.

وقد جرب عبد الناصر أن يقيم في أحد القصور الملكية لفترة وجيزة حين كانوا يجرون له بعض الإصلاحات والترميمات في منزله القديم فانتقل إلى قصر الطاهرة ليقيم فيه ريثما ينتهي العمل في بيته القديم ، وهناك شعر بوحشة غريبة عبر عنها

قائلا : أن حياة القصور لا تناسبني ففي القصر كان كل فرد من الأسرة يعيش في جناحه الخاص ، مما يعطي الانطباع بالتفكك الأسري ، أما في البيت فإننا نعيش جميعاً معا ، وهذا إحساس لا يعرفه إلا كل أب يحب أسرته.

وبعد أن أنهى عبد الناصر إقامته في قصر الطاهرة – بناء على طلبه بإصرار – أن يدفع للحكومة ثمن بعض التحف أو الأثاث الذي كسره أبناؤه أثناء لعبهم.

الطابق الثاني بسبب عبد الحكيم

والبيت الذي عاش فيه عبد الناصر مكون من دورين ، الدور الأول به حجرة مكتبه وحجرة استقبال خاصة بزائرات السيدة قرينته ، ويضم الدور الثاني حجرات النوم وحجرة الطعام، وفي هذا البيت أقام الرئيس الراحل حتى آخر أيام عمره ، وقام بواجبه كرئيس وقائد وزعيم، وقابل أغلب من عرفهم من الشخصيات العالمية والعربية من زملائه وأصدقائه.

وفي البداية كان البيت يتكون من طابق واحد فقط ولكن حينما أنجبت السيدة قرينته عبد الحكيم أصغر أبنائه ، وكان ذلك في عام ١٩٥٥ قرر العاملون في الرئاسة بناء طابق علوي يخصص لأبناء الرئيس بعد أن لاحظوا أنه أصبح مرهقاً قليل النوم بسبب بكاء عبد الحكيم طوال الليل بنفس الغرفة التي ينام فيها الرئيس.

وحينما يجتاز الزائر بوابة البيت فإنه يدخل إلى فناء صغير وإلى يمينه مبنى أرشيف ومكتبة مراجع الزعيم ، وفي المواجهة يجد الزائر المبنى الرئيسي وقد غطيت واجهته بأكثر من مائة أصيص صغير زرعت بالأزهار .. وهي مرتبة في ثلاثة صفوف.

وراء المبنى الرئيسي حديقة صغيرة بالعشب الأخضر . وتحيط بها أشجار عالية ، وفي أبعد ركن من هذه الحديقة وتحت أكبر شجرة بها كانت توجد عدة مقاعد

ومنضدة وحامل تليفون ، وفي هذا الركن كان الرئيس يحب أن يجلس مع أفراد أسرته يتحدث أو يلعب مباراة شطرنج مع ابنه الكبير خالد، أو كان يجلس وحده يقرأ ويدرس ويقرر ، خاصة في بعض ليالي الصيف الحارة، فإذا دخلنا الدور الأول من المبنى الرئيسي فإننا نجد حجرة استقبال صغيرة المساحة وفي الجانب الأبعد منها مدفأة حائط من الرخام الأحمر والأسود.

وعلى رف المدفأة ثماني صور موقع عليها من أصحابها وموضوعة في إطارات فضية هي صور أصدقاء الرئيس الراحل ومن بينهم شكري القوتلي الرئيس السوري الأسبق ونهرو زعيم الهند الراحل وشو ابن لاي ،رئيس وزراء الصين الراحل والرئيس الأندونيسي الراحل أحمد سوكارنو والرئيس الهندي الراحل راجندرا وشاد والرئيس اليوغسلافي الراحل تيتو والسيدة باندرانيكا رئيسة وزراء سيلان السابقة.

وعلى منضدة صغيرة ذات قرص من الرخام وإلى يمين المدفأة صورة فوتوغرافية كبيرة لكوامي نكروما رئيس غانا الأسبق.

وفوق المدفأة وعلى الحائط علقت لوحة زيتية تمثل طفلين من الفلاحين هدية من الحكومة الأسبانية طولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢٠ سم وقد اعتاد الرئيس عبد الناصر أن يقف مع ضيوفه أمام هذه المدفأة لكي يلتقط له المصورون والصحفيون الصور مع زواره .. فقد كانت هذه اللوحة هي أشهر لوحة في العالم لأنها صورت أكثر مما صورت أية لوحة أخرى .

وعلى حائط آخر من حجرة الاستقبال لوحة أخرى لعدد من الكتاكيت أو «أفراخ الدجاج» ..وأمام المدفأة مقعدان كبيران يواجهان بعضهما بعضا وبينهما منضدة صغيرة وفي الناحية الأخرى من الحجرة كنبة وستة كراسي وثلاث مناضد

صغيرة . ومن سقف حجرة الاستقبال تتدلى نجفة كريستال وعلى الأرض سجادتان كبيرتان صنعتا بمصر ، بمصنع الشركة العربية للسجاد بدمنهور .. وأمام المدفأة سجاد صلاة.

وفي هذا الصالون الذي يشبه آلاف الصالونات في بيوت الأسر المصرية المتوسطة ، كان الزعيم الراحل يستقبل زواره من الرؤساء والزعماء والسفراء والصحفيين أفراد وجماعات الذين طالما جاؤوا إليه حاملين همومهم وأسئلتهم ، ولكن أحدا منهم لم يغادر المنزل كما دخل إليه، فقد كان الزعيم قادراً في كل وقت على الرد والاستجابة ، إلا ما مس منها كرامة الوطن وحريته واستقلاله كما كان دائماً قادراً على كسب احترام ألد الخصوم والأعداء بصراحته ووضوحه.

ولحجرة الاستقبال نافذتان تطلان على شرفة.

وعادة كانت القهوة تقدم إلى الزائر بعد قدومه بقليل ، وإذا طالت المقابلة كانت تقدم للزائر أكواب العصير أو الشربات.

أهلا بك في المكتب

أما حجرة المكتب فقد ظلت دائماً منطقة محظورة على أي أحد غير مساعدي الرئيس من موظفي الرئاسة.

والحائط الأبعد من حجرة المكتب مبنى بالطوب ، وأمامه مكتب الرئيس الذي يبلغ طوله ٢١٠ سم وفوقه ملفات وخطابات وتقارير ومجلات وصحف.

وفي أحد أركان المكتب كومة من النوتات التي كان الزعيم يسجل بها طوال سنوات حكمه ملاحظاته على الأشخاص الذين كان يقابلهم ..والأحداث التي تقع والقضايا التي تعرض عليه.

وإلى يمين المكتب لوحة توزيع تليفزيونية بيضاء مركب بها أحد عشر خطا تليفونيا كان الزعيم يتصل بواسطتها بكل من يريد الاتصال به من المسؤولين في مكاتبهم أو بيوتهم وهناك آلة كاتبة وخزانة حديدية متوسطة الحجم وجهاز راديو هو أقوى جهاز راديو في مصر.

وعلى المكتب ساعة سويسرية توضح الوقت في جميع أنحاء العالم . وبالقرب من المكتب كنبة كبيرة كان يجلس الزعيم عليها حينما كان يتحدث إلى مساعديه . وفي متناول يد الزعيم ثلاثة أزرار كهربائية ، كل زر منها له صوت خاص بأحد العاملين بالرئاسة وفي هذا المكتب عمل الزعيم الراحل، واتخذ معظم قراراته ، وناقش ودرس وبحث وفكر في شؤون الوطن.

(شخبطة) لها معنى

وكان الرئيس يتوجه إلى مكتبه بعد الإفطار مباشرة ، حيث كان يقضي أربع ساعات كاملة في قراءة تقارير الوزراء وبرقيات السفراء والرسائل الخاصة التي يعرضها عليه سكرتيره الخاص ويتصل تليفونياً موجهاً ومقرراً ومناقشاً وسائلا .

وفي أثناء أحاديثه التليفونية اعتاد الرئيس أن يخطط بقلمه بعض الرسومات العشوائية على النوتة التي توضع أمامه ، ومتابعة أشكال هذه الرسومات على مر السنين توضح أن بعضها كان يتكرر مرارا .

وخلال هذه الساعات الأربع من صباح كل يوم ، كانت الحركة تموج بين مكتب الرئيس ومبنى السكرتارية المكون من دورين ، ويقع عبر الطريق إلى بيته.

ولم يكن العمل في مبنى السكرتارية يتوقف إلا نحو أربع ساعات ، قبيل طلوع فجر اليوم التالي، وأحياناً كان العمل في هذا المبنى يستمر متواصلا ليل نهار بدون

انقطاع وفي فريق سكرتارية الزعيم الراحل كان يعمل عدد من الرجال والنساء ، يعرفون كل لغات العالم تقريباً ومهمتهم هي صياغة الردود على جميع الرسائل التي يتلقاها الزعيم والتي كانت لا تقل عن ثلاثة آلاف رسالة في اليوم الواحد ، وتلبية رغبات أصحاب الرسائل ، كذلك صياغة قرارات الرئيس وتوجيهاته ، وكانت السكرتارية تعرض عليها بدون تعليماته المباشرة ، أو بعض الرسائل التي لها طرافة خاصة ، ولم يكن الزعيم يملي ما يريده ، ولكنه يكتفي بشرح الخطوط العامة لما يريده شفوياً ، ثم يكون على أحد أعضاء مكتبة أن يضع الصيغة التفصيلية بالمضمون والأسلوب واللغة المطلوبة .

وأحياناً كان الزعيم يدخل بعض التعديلات بخط يده وبأسلوب أدبي رفيع المستوى.

وأحياناً كان يوجد لدي أحد مساعديه ما يقوله له أثناء وجود أحد معه فإنه كان يجب عليه أن يكتبه على ورقة ويقدمها للزعيم أو يهمس بها في أذنه.

وكان الرئيس يبقى في مكتبه حتى يحين موعد الغداء .. وكان الغداء ولمدة نحو ساعة ونصف ، وهو الوقت الذي يعيش فيه الرئيس خلال اليوم مع أسرته ، ولم يكن من المسموح الاتصال به تليفونياً خلال هذه الفترة وكان الهدوء يسود البيت كله.

السينما في البيت

وربما كانت أمسيات الخميس من كل أسبوع ، وفي الظروف العادية هي المناسبة المعتادة لالتقاء رب الأسرة والكبير بأفراد أسرته ، وفي مثل هذه الأمسيات كانت الأسرة تشاهد أحد الأفلام السينمائية وكان الأولاد هم الذين يختارون الفيلم حتى ولو لم يكن الاختيار مما يوافق ذوق الزعيم الراحل وأحياناً كان الرئيس يشاهد بعد

الفيلم العربي الذي اختاره الأولاد فيلما من اختياره هو.

وبعد الغذاء كان الرئيس يقرأ صحف الوطن العربي ، وكان ذلك يستغرق نحو الساعتين. ثم كان يأوي إلى فراشه لمدة ساعة حتى الخامسة . ثم يستيقظ ليستأنف العمل من جديد . ولمدة ثماني أو تسع ساعات ، كان الرئيس خلالها يواصل اجتماعاته مع الوزراء والدبلوماسيين والصحفيين وكبار المسؤولين .. ولم يكن يتناول عشاءه إلا بعد منتصف الليل ، وكثيراً ما كان يتناوله أثناء العمل بمكتبه .. وكان عشاؤه خفيفاً يتكون من الخبز والزبادي والجبن الأبيض.

وخلال الليل كان الزعيم الراحل يتناول ما بين ١٠ ، ٢٠ فنجاناً من القهوة ، وعددا من أكواب عصير الفواكه ، وفي الساعة التاسعة من مساء كل يوم ، كان يصل إلى الرئيس رسول خاص يحمل النسخة الأولى من تقرير يتضمن أقوال صحف وإذاعات العالم خلال الأربع والعشرين ساعة وخاصة أقوال الصحف والإذاعات المعادية.

أما إذا جاء خبر هام ، قبل أو بعد ذلك ، فإنه كان يرفع إليه فوراً مهما كانت مشاغله وأيا كان الوقت وكان يصل إلى الرئيس تقرير عن تحليل اتجاهات الرأي العام في مصر والبلاد العربية ودول العالم وكانت تصل إليه ملخصات كل الكتب الهامة التي تصدر في العالم ، وكان يعرف النكت والإشاعات المتداولة . ويعرف كيف يفرق بين ما هو صادر منها عن الجهات الأجنبية المعادية وبين ما هو صادر منها عن طبيعة الشعب المصري الأصيلة .

وبعد آخر زائر آخر مكالمة تليفونية كان الرئيس يغادر عادة بعد منتصف الليل بساعات ، ويتوجه إلى حجرة نومه ومعه مجموعة كبيرة من الصحف والكتب والمجلات العربية والأجنبية

القراءة دائماً

وفي حجرة النوم كان الزعيم يخلع ملابسه ويرتدي البيجامة ثم يستلقي على سريره ويدير الراديو بجوار الفراش ثم يقضي ساعة أو ساعتين في القراءة والاستماع.

ومع أن معظم ما كان يقرأ في الصحف والكتب ، وأما يسمعه في الإذاعة ، لا يختلف كثيراً عما هو وارد في التقارير والملخصات الإعلامية إلا أنه كان يحب أن يقرأ ويسمع بنفسه وكثيراً ما كان يقرأ ما يسمى بالأخبار الخفيفة غير السياسية لأنه كان يحس من خلالها بالارتباط بالحياة اليومية في مصر والوطن العربي بصورة جيدة ويهتم بالرسوم الكاريكاتيرية.

وبصورة عامة كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، يقضي بين خمس وسبع ساعات من كل ٢٤ ساعة في القراءة .. فالقراءة كانت هوايته الرئيسية.

وبجانب القراءة .. كانت هواية الرئيس الثانية هي مشاهدة الأفلام السينمائية.

وقبل مسئولية الحكم كان من عادة الرئيس أن يذهب مع السيدة قرينته إلى السينما مرتين في الأسبوع . ولكن مهام الدولة المتزايدة جعلته يشتري آلة عرض سينمائية وشاشة لمشاهدة الأفلام في بيته وكان يحب بصفة خاصة الأفلام التاريخية ، وأفلام المغامرات ، والأفلام الموسيقية ، ولم يكن يميل إلى الأفلام ذات الموضوعات الدرامية أو الثقيلة .. وكان الشطرنج هوايته الثالثة.

وقد علم أولاده لعبة الشطرنج .. وكثيراً ما كان يدخل في مباريات شطرنج معهم وخاصة مع ابنه الأكبر خالد ، أو مع صديق من أصدقائه الأعزاء.

***

مارك توين .. وأم كلثوم

وبعد القراءة والشطرنج كان الزعيم يحب الموسيقى والغناء خاصة الموسيقى الكلاسيكية ، ومن أحب الموسيقيين العالميين إلى نفسه رحمانوف وشوبان، وكان أحب الغناء إليه غناء أم كلثوم، وأحب الكتاب إليه فكان الكاتب الأمريكي مارك توين.

وقد عاش الزعيم الراحل حياة الزهد الحقيقية ، ومات وهو لا يمتلك البيت الذي كان يعيش فيه .

إن طعامه كان قليلا ، وملابسه كانت بسيطة ، وحياته الخاصة كانت عادية .

إنه لم يكن يفصل سوى بدلة واحدة في السنة ... بل أحيانا كانت تمر سنة دون أن يفصل بدلة جديدة كما حدث في عام ١٩٥٩ ، وقد ظل يتعامل مع الترزي نفسه الذي كان يتعامل معه قبل وصوله إلى السلطة ، وكذلك مع الحلاق نفسه .

وحتى وهو ضابط في الجيش كان يفضل ارتداء الملابس المدنية على الملابس العسكرية وكان يفضل اللونين الكحلى والرمادي ، وربطات العنق العادي الألوان . ولم يضع في أصابعه إلا دبلة الخطوبة . وظل يستخدم ساعة يد واحدة طوال حياته .